

# الجندى الصغير

للكاتب الفرنسي جودي موباسان  
بقلم الأديب السيد محمد العزاوي

بلذة الراحة إلا في أعطاف  
ذلك الموضع وبين ربوعه  
وكت تراها دائماً يحسران  
قبعتيهما الثقيلتين عن رأسيهما  
وينفضان العرق عن حواجهما  
إذا ما الشجر الوارف أظلهما  
عند مفترق الطرق المفضية إلى  
كولومبس وشاتو

وكانا يتلبثان على جسر بزنوس دقيقتين أو ثلاثاً  
بظالمان منه «السين» ، مرتفقين سياج الجسر  
أو يحدقان في مجرى «أرجنتوي» العظيم ، حيث  
تلوح الزوارق الجميلة بأجنحتها البيضاء ، وتدلف  
أمامهما خفافاً سراعاً . فلربما استمادا من ذكريات  
بحر «بريتانيا» وثمر «فانس» القريب إلى الوطن  
وادكرا صيد السمك في عرض «موربهان» إلى  
البحر الفسيح ، وبعد أن يجوزا نهر السين يمضيان  
ليبتاعا قوت يومهما . وكان لا يتجاوز قطعة من نخذ  
الخنزير يشتريانها بأربعة دوانق ، ثم ما يكنى ذلك  
الإدام من نبيذ وخبز يضعانه في مندليلهما ، حتى  
إذا ما ابتدأ رق الخطو وبدأ الحديث

وهناك كان يمتد بظاهر القرية سهل ما حل غير  
ذي ذرع ، تتناثر هنا وهناك منه أدغال تفضي إلى  
غابة صغيرة تشبه أختها في «كارماريفان» . فإذا  
ما تقدم بهما السير حف بطريقيهما نبات القمح  
والقرطم ، ثم يختفي النباتان في خضرة ما ينبت  
في المرج الفسيح ، وإذ ذلك يقول «جان كوردن»  
لصاحبه : «لوك لي جانيدك» : «إن ذلك لي شبه  
«بلونيفون» تماماً»

كان إذا ما فرغ الجنديان الشابان من عملهما يوم  
الأحد انطلقا في سبيلهما ...

فكانا يعرجان إلى عين ، من بعد الثكنات ،  
فيركضان خلال «كوبفوا» فكأنهما مسرعان إلى  
تمرين . فإذا ما خلفا البناء وراهما ترفقا في السير ،  
ناهجين تلك الطريق النبراء العارية التي تفضي إلى  
«بزنوس»

كانا نحيفين قصيري القامة ، يدخلان في سترات  
طويلة مترهلة ، تغطي أكتافهما أيديهما ؛ ويقلقهما  
طول السراويل الحمراء ، فيضطرها أن يشدا أرجلهما  
جهد استطاع في كل خطوة سريع . ثم لا يكاد المرء  
يستبين تحت قبعتيهما من وجهيهما شيئاً . فإن أفلح  
فتم وجهان من وجوه آل بريتانيا غائرا الحدود ،  
ناتئا العظام ، ركبت بأعلاهما عينان تمان عن دعة  
النفس وطهارة القلب ، وبراءة الطوية

كانا قليلاً ما يتحدان أثناء السير ، بل يمضيان  
قدماً تشغل ذهنيهما مآ فكرة واحدة حلت منهما  
محل الحديث ، إذ قد اكتشفا موضعاً من الأرض على  
كثب من غابة «لي شامبيوز» الصغيرة ، تذكرهما  
بأقليعهما الذي درجا منه وترعرا فيه فهما لا يشمران

وحينئذ يسير « لوك » وزميله « جان » على مهل  
وهدوء . يهتفك صدريهما سعادة وحزن ، تجنهما  
كآبة بالغة وحزن نفاذ كذلك الذي يعثور حيواناً  
سجيناً لدى الذكرى

وإذ يفرغ « لوك » من أمر المسالوج يكونان  
قد شارفاً ركن الغابة الذي يفطران فيه كل يوم أحد .  
وهناك يجدان لبنتين خبأهما تحت عشب جاف في المرة  
السابقة ، فيوقدان ناراً صغيرة ويشويان اللحم على  
طرف « السنجة » الرفيع

فبعد أن يملا بطنيهما ويأتيا على خبزهما وخرهما  
يضطجعان جنباً إلى جنب ، ويرسلان الطرف يجوب  
الأفق البعيد . . . لا يتحدان بل يداعبان الكرى  
نصباً ، بينما تمتد أرجلها الحمراء في وهن وتراخ ،  
ويلمع جلد قبعتيهما وأزرار سترتيهما النحاسية في  
وهج الشمس الحامية فتخطفت أبصار البلابل الخائفة  
حولها .

وتبدأ عيناها - عند الظهر - تدوران في  
محاجرها صوب قرية « بيرونس » فقد كان موعد  
تلك الفتاة التي ترعى بقريتها . فقد كانت تمر بهما كل  
أحد في طريقها إلى الحظيرة كما تحلب البقرة الوحيدة  
التي ترعى الكلاً والأعشاب . . . في حقل ضيق  
قريب من الغاب

وسرعان ما يبصران بتلك الروح البشرية  
الوحيدة في هذا المكان ، فيتلج صدريهما مرأى الدلو  
التي تحمل ، إذ تمكس عليه الشمس أشعتها الحامية . .  
ولم يتحدانا في شأنها مرة فقد كان السرور يغمر  
قلبيهما الفتيين حين مرآها ، ولا يدري أحدهما لماذا . .  
كانت ممشوقة القد . . . قوية البنية . . . حمراء  
الشعر . . . قد لوحتها شمس الأيام الصائفة . . .

نعم ، إنه ليشبهها تماماً

ثم يسيران جنباً إلى جنب ، تهب على ذهنيهما  
المشوقين ذكريات الوطن المهمة ، ويملاً نفسيهما  
الظالمين تصاور صافية واضحة كشكك التي تتباعها  
من السوق بدائق . . . لسكافي بهما بصوران ضيقة  
من حقل ، وسياجاً ، وكديداً حزوناً لم يشقها  
محرث ؛ يكتنفها جميعاً مفترق طرق وصيلب من  
الجرانيت

وكثيراً ما تريثا لدى حجر فاصل بين حقلين  
يتأملانه ، ففيه شبه قوى بحجارة « الكيفان »  
وكان « لوك لي جانيدك » يفتطع لنفسه عسلوجاً  
من عساليج البندق اللدنة ، إذا ما وصل إلى أقرب  
الأدغال إليه ، ثم يشرع في نزع لحائه في هيئة  
وشرود ، مفكراً في فلاحى الوطن ؛ بينما « كوردن »  
يحمل الطعام

ولربما ينطق « لوك » باسم من حين لآخر ،  
أو يشير إلى حادث من الصبا في كلمات قلائل كانت  
تكفى لأن تفرقهما في تأمل عميق ، وحينذاك يمتلك  
مشاعرها ذكر الوطن العزيز البعيد ؛ فيطفي حتى  
يجنهما في أحشائه فيرسل إليهما الوطن خلال المريج  
أصواته المألوفة ، وأرياحه المروقة ، ومناظره  
الحبيبة . ويملاً عليهم الجوب ريحه المضمخ الساحر ،  
رائحة المروج الخضمر يحملها نسيم البحر . فلم يمد  
أحد من الصديقين يشم بمد رائحة السباد التي تفوح من  
أرض الضواحي بل ينشق ريح الوطن المزهر بخالط  
ملوحة البحر في نسيم المحيط وتلك الأجنحة الرشيقة  
التي كانت تلوح في البحر خلال المريج الفسيح ا  
لقد كانا يحسبانها أجنحة لزوارق تهادى على صدر  
المحيط لتتصيد . فتترامى خلال المروج المنبسطة في  
ساحل الوطن العزيز

فتاة صريحة من أرباض باريس

لبي ذات أحد قالت لها حين رأتهما يجلسان  
في نفس المكان :

— طاب يومكما اهل تاتيان إلى هنا دائماً ؟  
وكان «لوك لي جانيدك» أجراً من زميله فقال :

« نعم ، إنا ننشد الراحة هنا »

كان هذا كل ما حدث . ولكنها حين رأتهما  
في الأحد التالي ضحكت ضحك فتاة طيبة تستريح إلى  
خجلهما ثم قالت « ماذا تفعلان ؟ أفتقربان المشب  
ينمو ؟ »

فابتسم لوك بروح غريب وقال : « ربما »

فقالت : حسن إنه لا ينمو سريماً !

فأجاب وهو لا يزال يضحك « إنه لكذلك ! »  
ومضت ، ولكنها حين عادت تحمل قعب اللبن  
تلبثت أمامهما برهة وقالت :

— ألا ترغبان في جرعة ؟ لسوف تذكركما  
بالوطن ...

حقاً لقد أصابت ، وذلك بفريرة إنسانته من نفس  
جنسهما ، ربما كانت نازحة مثلهما عن الوطن . لقد  
حدثت فأصابت ، فوضعت إصبعها على الجرح الدامي .  
وتحرك الرجلان في وقت مما ، فصبت قليلاً من  
اللبن في زجاجة التبيذ بغير جهد أو عناء . وشرب  
«لوك» أولاً في رشقات قصار ، وكان ينظر الزجاجة  
كل رشفة خشية أن يجور على حظ الزميل ،  
ثم ناول الزجاجة جان . وظلت واقفة أمامهما واضعة  
يديها على فخذيها ، ودلوها عند قدميها ، مسرورة  
لما قدمت لها من غبطة وسرور . وأخيراً مضت  
في سبيلها وهي تقول :

— طاب يومكما ، وإلى اللقاء في الأحد المقبل

ففظرا قواماً طويلاً ، ورأساً جميلاً يتعد عنهما  
رويداً رويداً حتى اختفى في خضرة زاهية ...

وحينما غادرا التكنات في الأحد التالي قال جان :  
« هلا اشترينا لها شيئاً جميلاً بمجبتها ؟ » وأخذتهما  
حيرة شديدة فيما يشتريان . أي شيء يجمل بهما أن  
يشترياه لفتاة المرعى ؟ لقد فضل «لوك» بعضاً من  
لحم الخنزير ، ولكن جان فضل «الحلوى» لأنه كان  
مفرماً بها . وقد نفذت فكرته فاشتريا بداتقين حلواء  
حراء وأخرى بيضاء .

أفطرا اليوم في سرعة ، مأخوذين بحس غريب .  
ورآها جان أولاً فصاح « ها هي ذى قادمة ! »

— نعم ها هي ذى قادمة !

وضحكت من بعيد حين رأتهما ، ثم صاحت بهما :  
« كيف حال كل شيء لديكما ؟ »

فأجبا في صوت مما « وكيف الحال لديك ؟ »  
وظفقت تتحدث ... تتحدث عن أشياء تافهة  
يطيب لهما السماع إليها ... عن الجو والمحصول ،  
ثم عن عمالها ...

وقد خجلا أن يبهأها حلواهما ، بينما الحلوى  
تذوب في جيب جان . واستجمع «لوك» شجاعة وقال :

— لقد ابتعنا شيئاً .

— ما هو ؟

فأخرج جان من جيبه ورقة مفضضة لامعة ،  
وتضرج وجهه بحمرة الحياء والحجل . وشرعت  
تأكل قطع الحلوى ، فتلو كما في شدقيها . فتحدثت  
القطع الصغيرة تنوءاً رشيماً . وسر الجنديان الجالسان  
أمامهما يتأملانها . بينما تتجاوب في قلبيهما مشاعر حجة .  
وراحت لتحلب بقرتها ؛ فلما أن عادت أعطت  
كللاً منهما قسطه من اللبن .

يفطران في بطاء شديد فقد كان كلاهما لا يحسن الجوع ولا يجد العطش .

وأشرقت عليهما الفتاة ، فظلا يرقبانها ، وهي تتقدم نحوها ، كدأبهما كل أحد . ولما أن دانتها قفز « لوك » ليلقاها . وأصرع نحوها فوضعت قمرها على المشب ثم عانقته وطفقت تلثمه في حرارة ولهفة ، متجاهلة جان . إنها لم تره بل لم تستشعر بوجوده معها ... وهناك جلس جان التمس مذهولاً أيما ذهول ... ذهل حتى لم يمد يستطيع إدراك ما يرى ، فقد دار رأسه إعصار ، وانفجر في قلبه شريان ، ولسكنه مع ذلك لم يك يفهم ما يرى ...

والآن جلست الفتاة إلى « لوك » وطفقا يتحدنان ولم ينظر إليهما جان . فقد استطاع أن يفهم لم تغيب صديقه مرتين في الأسبوع المنصرم . وكان يستشعر لذلك ألم الجرح الدامي ، وكان بضلوعه جرحاً بليغاً ، وإن نصل الحيانة يقطع ألياف قلبه الدقيق

وقام لوك وفتاته كي يتقلا البقرة إلى مكان نصير وأتبعهما جان بصره فرآهما يسيران جنباً إلى جنب ، وكانت سراويل زميله الحمراء أوضح ما في الطريق . وكان « لوك » هو الذي تناول المطرقة فندق الوتد في شقة أخرى من الأرض المشبة ... وانحنت الفتاة تحلب بقرتها ، بينما لوك ربت على ظهر البقرة الأملس بيدٍ متلطفة حانية . وترك القمب واتجه صوب القاب . ولم ير جان من بعد دخولها القاب إلا حائطاً عظيماً من ورق الشجر وسوقها قد قام بينه وبينها سداً منيعاً . وأحس جان بالاضطراب محتويه في أحشائه . فلو أنه رام القيام لانبطح على الأرض لا يستطيع حراكاً . والآن يجلس معتدلاً تثبته الدهشة ، وتذهله الحيرة ... حقاً لقد كان مضطرباً

ولقد فكرا في أمرها أثناء الأسبوع كثيراً ، وتحادثا عنها مراراً ؛ وفي الأحد التالي جلست إليهما لحظة لتحدثهما حديثاً أطول وأمتع . وجلس ثلاثتهم جنباً إلى جنب يتذاكر كل أحاديث الصبا فيستعيد ذكرياته الجميلة محتجزاً ركبتيه بين يديه ، مسرحاً طرفه في المرح الفسيح ، متحدثاً عن قريته التي درج منها ... وكانت البقرة ترمي المشب بعيداً ، فلما رأت صاحبها تبطيء في القدوم رفعت رأسها الضخم - بمنخاريه اللزجين - ثم جارت بصوتها تدعوها .

وسرعان ما قبلت الفتاة دعوتها إلى بعض الطعام وبعض النبيذ . وكثيراً ما كانت تحمل لهما الخوخ في جرابها فقد كان الموسم موسم الخوخ والبرقوق . وكان وجودها ينمش روعي الجنديين البريتانيين . فكانا يترثران كما ينم زوج من الطيور وفي يوم من أيام الثلاثاء طلب « لوك لي جانيدك » إذناً بالتغيب ، وهذا أمر لم يأنه من قبل . ثم عاد للشك في العاشرة مساء ... وأقلق هذا العمل بال جان . وحاول أن يرثي سنياً لغيب صديقه وطلب « لوك لي جانيدك » إذناً آخر يوضع ساعات من يوم الجمعة التالي بعد أن اقترض عشرة دوايق من زميل له في عنبر النوم .

وحينما انطلقا إلى مكانهما المختار في يوم الأحد كان سلوك « لوك » غريباً إلى حد بعيد ، فهو قلق مأخوذ .

ولم يكن جان ليفهم من الأمر شيئاً ، ولكن كان يحس يحدث قادم ، وإن لم يستطع تحديده تماماً ... ولم يتحدنا طوال الطريق ، ولا حين جلسا في مكانهما الذي أبدا عشبه من الجلوس . وطفقا

يختلج ويضطرب . ثم انحسر الماء عن رأس صاحبه  
ولكنه غار في لحظة . وبصر هناك بيد واحدة  
تندفع إلى السطح ثم تختفي ... وحذق ولم يبصر  
بعد ذلك شيئاً

ولم يثر الملاح الذي أسرع إلى المكان بالحثه  
في ذلك اليوم ، وعاد « لوك » إلى الشكنة وحده  
يمدو كمن به مس من خبال . وقص الحادث بدمع  
واكفٍ وصوت مرتجف :

— لقد انحنى إلى الأمام ... انحنى ... انحنى ...  
كثيراً جداً ... جداً ... جداً ... حتى ... حتى  
جذبه رأسه ... ف ... ف ... فهوى ...  
ولم يقدر على أن يفصح أكثر من هذا فقد  
خفقه البكاء ... آه ! لو كان يعرف !

السيد محمد العزاوي

## المجموعة الاولى

### للمجموعة الاولى

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى  
المصر لموسيه، والأوذيسة لهوميروس، ومذكرات  
نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم، وثلاث مسرحيات  
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعه  
ومثولة .

الثن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

حالاً محزوناً . وكان يود البكاء بل الفرار . بل ود  
لو الختجب عن الأنظار فلا يرى بهد ذلك من  
الإنس أحداً

ثم رأها نجاة بخرجان من الغاب فيمشيان وتبدأ  
وقد ارتفق كل منهما ذراع صاحبه كما يفعل خطيبا  
القرى . وقد كان « لوك » يحمل القعب في يده  
الأخرى . وتماثقا ثانيةً وتلاثماً ، ثم انطلقت إلى  
سبيلها بمد أن ودعته « بطاب ليلك » ونظرت نحو  
« جان » نظرة ذات معنى . ولم تفكر اليوم أن تهب  
جان قنسطه من اللبن

وجلس الجنديان على كئيب مرة أخرى صامتين  
سامدئين ؛ لا يشف محياهما عما يمتلج في قواديهما  
من مشاعر ، وما يدوي من فكر . كل ذلك  
والشمس ترسل عليهما شواظاً من نارٍ موقدة .  
والبقرة تنظر إليهما فتجأر بصوتها من مرعاها البعيد .  
وفي موعدهما المألوف قائما ليرجما ...

واختطف « لوك » عسلوجاً آخر من عساليح  
البندق ، وطفق ينضو عنه قشره . بينما حمل جان  
زجاجة التبيد ، وتركها عند الخمار في « بيزونس »  
ثم عبرا الجسر ووقفوا في المنتصف يرقبان الماء بضع  
لحظات كدأبهما كل أحد . وانحنى جان على السياج  
الحديدي رويداً ... وانحنى ... وانحنى ... كأنما  
رأى في النهر ما جذب انتباهه . فسأله « لوك » :  
— أفنتوى الشرب من هذا الماء ؟

ولكن لم ينته من قوله حتى جذب جان رأسه .  
فرسمت ساقاه في الهواء دائرة . وهوى الجندي  
الصغير في الماء كثلةً من الصخر ، وغاب  
وأراد « لوك » أن يصيح ، ولكن حنجرتة  
لم تطاوعه ، فكأنما شلت ، ورأى عن بعد شيئاً